

منبر المحراب

من وصايا الإمام الصادق عليه السلام:

«فإن أردت العلم فاطلب حقيقة العبودية»

السنة العشرون

العدد ١٠٠٧ - ٢٣ / شوال / ١٤٣٣ هـ

الموافق ١١ / أيلول / ٢٠١٢ م

محاوَر الموضوع الرئيسية:

١. التعريف بالعلم المقصود في الحديث المصدر.
٢. ذكر بعض أسباب العلم الالهي.
٣. ذكر بعض موانع العلم الالهي.

الهدف:

الحث على العلم الالهي والتعريف ببعض الأسباب والموانع

تصدير الموضوع:

عن الإمام الصادق عليه السلام:

«... ليس العلم بالتعلم، إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه، فإن أردت العلم فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية، واطلب العلم باستعماله، واستفهم الله يفهمك....»

بحار الأنوار / جزء ١ / صفحة [٢٣٦]

أنحاء العلوم

إن العلوم على نحوين:

الأول: كسبي تحتاج إلى الإنسان أن يُعَمِّلَ عقله وتجاربته ويبذل جهوده الفكرية لكي يصل إلى النتائج العلمية، وذلك مثل العلوم الطبيعية كالطب والهندسة ونحوهما.

الثاني: إلهامي توفيق من الله سبحانه وتعالى، وهذا وإن كان يحتاج إلى أرضية عقلية، إلا أنه يحتاج في زيادته ونورانيته إلى الهام الله وتوقيفه، وكذلك يحتاج إلى بذل جهد روحي ورياضة روحية ومجاهدات نفسية و تزكية

للقلب وتصفية للباطن. وهذا النوع من العلوم يسمى العلوم الإلهية التي توصل إلى الله ورضوانه وتقرب منه تعالى. وهذا العلم هو المقصود في حديث الإمام عليه السلام.

المزيد من العلم

ينبغي للإنسان المؤمن الطالب لله تعالى ورضوانه والقرب منه سبحانه أن لا يقنع بالمراتب الدنيا من الإيمان والعلم الذي يقرب من الخالق العظيم. فمهما كان الإنسان وبأي مرتبة هو فهو ناقص لا يبلغ الكمال المطلق،

لذلك عليه أن يطلب من الله المزيد، فهذا رسول الله ﷺ يطلب المزيد من العلم فكيف نحن الناقصون أليس من الأولى أن نطلب المزيد؟ يقول سبحانه مخاطباً نبيه: «وقل ربي زدني علماً» وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أتى عليَّ يومٌ لا أزداد فيه علماً يقرّيني إلى الله فلا بارك الله لي في طلوع شمسهِ»^(١)

من أسباب العلم الإلهي

١- التقوى: من الأمور الأساس في التوفيق للمعرفة والقرب من الله تعالى التقوى والتي هي درجات، وأولها فعل الواجبات واجتناب المعاصي. وكلما ترقى الإنسان في مدارج التقوى كلما ترقّت روحه في مدارج العلم والقرب، وكلما تعرف إلى حقيقة العبودية. يقول سبحانه: «اتقوا الله ويعلمكم الله» ويقول سبحانه: «وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ

يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا» وفي آية أخرى يشير الله سبحانه إلى خطورة المعاصي التي تحجب القلب عن الله: «كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»^(٢). وعن رسول الله ﷺ - لما قيل له: أحبُّ أن أكون أعلم الناس قال ﷺ: «أتقي الله تكن أعلم الناس»^(٣)

٢- العبادة بالمعنى الأخص: فإن الالتزام بالعبادات بالمعنى الأخص - إذ العبادة بالمعنى الأعم هي الخضوع والطاعة لله في جميع التكليف - من صلاة وصوم وحج، تساعد على اجتناب المعاصي فتقرب من الله، طبعاً بشرط إقامتها بشرطها وشروطها والحفاظ عليها والمداومة عليها. يقول تعالى في خصوص الصلاة: «اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ»^(٤)

وقد أشار سبحانه إلى شرط فلاح المؤمنين وتقدّمهم الروحي والمعنوي وغيرهما بأن يادّوا الصلاة بخشوع وتوجه: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ»^(٥).

٣- ذكر الله: وهذا ما أشارت إليه الآية: «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ...»

فالإنسان الذي يريد القرب من الله تعالى عليه أن لا يقتصر في ذكره لله على الذكر الواجب - الصلاة - بل عليه

(٢) المطففين: ١٤.

(٣) كنز العمال: ٤٤١٥٤.

(٤) العنكبوت: ٤٥.

(٥) المؤمنون: ١-٢.

(١) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٢٠٦٣.



إليه يصعد الكلم الطيب

تَبَا الَّذِي أَتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتِّبَعَهُ
الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا
لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ
هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ
يَلْهَثُ أَوْ تَتَرَكَّهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ^(٨)

٢- اتِّبَاعُ الشَّهَوَاتِ وَحُبُّ الدُّنْيَا: إِنَّ
غلبة الشهوات على كيان الإنسان،
يجعل هناك حجاباً عظيماً، بحيث
يعطل العقل النوراني عن دوره، فلا
يميز بين القبيح والحسن، فيبتعد
عن الإلهامات والتوفيقات الإلهية.
والمقصود بالشهوات ما ذكر في الآية
الكريمة «زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ
النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ
ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا». فان الانغماس
في حب الشهوات، يؤدي بالإنسان
إلى حبِّ الدنيا ونسيان الآخرة، مما
يجبب الإنسان عن التماس الأنوار
الإلهية.

٣- ترك جهاد النفس: فَإِنَّ الْإِنْسَانَ
الَّذِي لَا يَرْبِي نَفْسَهُ وَلَا يَر_اقِبْهَا وَيُجَاهِدُهَا
وَيَحَاسِبُهَا، سيقع في الذنوب، وبالتالي
ستحجب عنه الرؤية الصحيحة «كَلَّا
بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»،
«وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا». أما من لم يجاهد نفسه فإنه سيفقد
الهداية.

أَلْهَمْنَا أَعْنَا عَلَى مَعْرِفَتِكَ
وَأَلْهَمْنَا وَوَفَّقْنَا لِلْمَزِيدِ مِنَ الْعِلْمِ
وَالْعَمَلِ الَّذِي يَقْرِبُنَا مِنْكَ،
«وَاسْتَغْفِرُكَ اللَّهُ يَفْهَمُكَ».

من موانع العلم الإلهي

كما أن هناك أسباباً تساعد على
انبثاق العلم والنور الإلهي في القلب
هناك موانع تمنع الإنسان عن الارتقاء
في العلوم الإلهية، منها:

١- اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ: يقول
تعالى: «أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ
اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ
وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ
بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ^(٥)»

وهو أخوف ما يخافه علينا أولياء
الله، عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «أَيُّهَا
النَّاسُ: إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ
اِثْنَتَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ،
فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصِدُّ عَنِ الْحَقِّ،
وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيَنْسِي الْآخِرَةَ^(٦)».

ولا غرو من خطورة اتباع الهوى
فهو من صفات الشيطان، فهو يريد
عبادة ربه حسب هواه، لذلك تردى الى
الهاوية وابتعد عن القرب الإلهي بعد
أن كان طاووس الملائكة وبعد أن عبد
الله آلاف السنين. عن الإمام الصادق
عليه السلام: «أمر الله إبليس بالسجود
لآدم، فقال: يا رب وعزتك إن
أعفيتني من السجود لآدم لأعبدنك
عبادة ما عبيدك أحد قط مثلها، قال
الله جل جلاله: إني أحب أن أطاع من
حيث أريد^(٧)». وكم نرى من الناس
من يتصف بهذه الصفة حيث يريد
ديناً حسب ما تشتهي نفسه، وكيف
لمن يعبد هواه ويطيعه أن يرتقي الى
الله. وقصة بلعم بن باعورا عالم بني
اسرائيل شاهد على مدى خطورة اتباع
الهوى، يقول سبحانه: «وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ

أَنْ يُحْضِرَ اللَّهُ دَائِمًا عَلَى لِسَانِهِ وَفِي
قَلْبِهِ وَفِي عَمَلِهِ، لكي تتجلي عن قلبه
سحابة الغفلة.

٤- خوف الله: هذا السبب وإن كان
يرتبط بالتقوى. حيث إنه من خاف الله
اتقاه. إلا أننا ذكرناه لخصوصيته.

عن رسول الله ﷺ: «لو خفتهم الله
حق خيفته لعلتم العلم الذي لا جهل
معه^(١)». فعلى الإنسان المؤمن أن يشعر
بحضور الله الدائم ويأنه يرى كل شيء،
وبهذا يستشعر خوف الله فلا يعصيه.

٥- غُضُّ الْبَصَرِ: عن رسول الله ﷺ:
«غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ تَرَوْنَ الْعَجَائِبَ^(٢)»

٦- العمل بما يعلم: فإذا علم
الإنسان ما يقرب من الله تعالى فعليه
أن يلتزم به ويعمل بمضمونه. فإذا علم
مثلاً أن تقوى الله تعالى تقرب منه
فعليه أن يلتزم بهذه المعلومة لكي يتبين
له بركاتها، وإلا لو لم يتق الله فإنه لن
يقترّب من خالقه، ولن يدخل النور
والروحانية والصفاء والطمأنينة إلى
قلبه. وإذا علم مثلاً أن غُضُّ الْبَصَرِ مهم
في الارتقاء والمعرفة فعليه أن يطبق
هذه المعلومة وإلا لن يتقدم في مجال
الروحانية. بل من عمل بما يعلم ازداد
في علمه الإلهي وفتحت له آفاق جديدة.
فعن رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ فَعَمِلَ،
عَلَّمَهُ اللَّهُ مَا لَمْ يَعْلَمْ^(٣)»

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «مَنْ عَمِلَ
بِمَا يَعْلَمُ عَلَّمَهُ اللَّهُ مَا لَا يَعْلَمُ^(٤)». وهذا
ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام في
حديثه: «واطلب العلم باستعماله»

(١) كنز العمال: ٥٨٨١

(٢) ميزان الحكمة، الري شهري، ج ٤، ص ٢٢٨٩.

(٣) كنز العمال: ٢٨٦٦١.

(٤) أعلام الدين: ٣٠١.

(٥) الجاثية: ٢٢.

(٦) نهج البلاغة الخطبة ٤١.

(٧) بحار الانوار ج ٢ ص ٢٦٢

(٨) الاعراف ١٧٥-١٧٦.